بشر بن الحارث

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[11]

بشر بن الحارث

بشر بن الحارث

كنيته ومولده:

يكنى: أبا نصر.

ولد سنة خمسين ومائة من الهجرة.

لماذا لُقِّبَ بشر بن الحارث الحافي؟

جاء بشر بن الحارث ذات يوم إلى ا لإسكاف يطلب منه شِسْعًا لإحدى نعليه، وكان قد انقطع فقال له الإسكاف:

- ما أكثر كلفتكم على الناس!

فألقى بشر بن الحارث النعل من يده والأخرى من رجله وقال:

- والله لا ألبس نعلاً بعدها.

نسبه:

هو: أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله.

وكان اسم عبد الله بعبور، وأسلم على أمير المؤمنين على بن أبي طالب.

وكان بشر بن الحارث من كبار الصالحين، وأعيان الأتقياء المتورعين.

أصله من مرو، من قرية يُقال لها: مابرسام - بفتح الباء وسكون الراء وسين مهملة -. سكن بغداد، وكان من أولاد الرؤساء والكتَّاب.

ما كان بدء أمرك؟

سأل رجل بشر بن الحارث:

- ما كان بدء أمرك؟ لأن اسمك بين الناس كأنه اسم نبي؟

قال بشر الحافي:

هذا من فضل الله، وما أقول لكم كنت رجلاً عيارًا - رجل عيار: كثير التطواف والحركة ذكى - صاحب عصبة، وجدت يومًا قرطاسًا في الطريق فرفعته فإذا فيه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فمسحته وجعلته في جيبي، وكان عندي درهمان ما كنت أملك غيرهما، فذهبت إلى العطارين فاشتريت بهما غالية - الغالية: من الطيب - ومسحته في القرطاس، فنمت في تلك الليلة فرأيت في المنام كان قائلاً يقول:

- يا بشر بن الحارث: رفعت اسمنا عن الطريق وطيبته، لأطيبنَّ اسمك في الدنيا والآخرة.

ثم كان ما كان.

وقيل:

كان سبب توبته: أنه أصاب في الطريق ورقه وفيها اسم الله تعالى مكتوب، وقد وطئَتها الأقدام، فأخذها واشترى بدراهم كانت معه غالية، فطيب بها الورقه وجعلها في شق جدار، فرأى في النوم كان قائلاً يقول له:

- يا بشر: طيبت اسمى، لأطيبنَّ اسمك في الدنيا والآخرة.

فلما تنبه من نومه تاب.

لو اشتريت نعلاً بدرهمين.

ذهب بشر بن الحارث يومًا إلى باب المعافى بن عمران فدقَّ الباب.

فقيل له:

- من ذا؟

قال بشر بن الحارث:

- بشر الحافي.

فقالت له بنية للمعافي بن عمران:

- لو اشتريت نعلاً بدرهمين ذهب عنك هذا الاسم.

دعوة مستجابة:

اشتكى بشر بن الحارث فعادته آمنة الرملية - من الرملة، و هي: مدينة مشهورة في فلسطين - وبينما كانت عنده دخل أحمد بن حنبل يعود بشر الحافي فتساءل ابن حنبل:

- من هذه؟

فقال بشر الحافي:

- هذه آمنة الرملية، بلغها علتي، فجاءت من الرملة تعودني.

قال أحمد بن حنبل لأبي نصر:

- فسلها تدعو لنا.

فقال آمنة الرملية:

- **اللهم إن بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيرانك من النار فأجرهما.**

يقول أحمد بن حنبل:

فانصرفت فلما كان من الليل، طرحت إليّ رقعة مكتوب فيها:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، قد فعلنا {وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [سورة ق الآية: ٣٥].

اسمي بشر:

ذات ليله ذهب بشر بن الحارث إلى بيت أخته **زبدة** فوضع إحدى رجليه داخل الدار وا لأخرى خارج الدار، وبقى كذلك يتفكر حتى أصبح فلما أصبح، قالت له زبدة بنت ا لحا رث:

- في ماذا تفكرت طول الليلة؟

قال بشر الحافي:

تفكرت في بشر النصراني، وبشر اليهودي، وبشر المجوسي، ونفسي، واسمي بشر.

فقالت:

- ما الذي سبق منك حتى خصك؟

قال أبو نصر:

- فتفكرت في تفضّله عليَّ أن جعلني من خاصته وألبسني لباس أحبائه.

أخوات بشر:

كان لبشر بن الحارث ثلاث أخوات وهنَّ: **مضغة، ومخة، وزبدة،** وكن زاهدات عابدات ورعات.

وكان أكبرهن مضغة، ماتت قبل موت أخيها بشر، فحزن عليها حزنًا شديدًا، وبكى بكاءً كثيرًا فقيل له في ذلك فقال:

- قرأت في بعض الكتب: أن العبد إذا قصر في خدمة ربه، سلبه أنيسه وهذه أخرى مضغة كانت أنيستي في الدنيا.

اللهم إنك تعلم:

قال عباس بن دهقان لبشر بن الحارث:

- يا أبا نصر: أحب أن أخلو معك.

قال بشر الحافي:

- إذا شئت.

فبكرت يوما فرأيته قد دخل قبة فصلى فيها أربع ركعات لا أحسن أن أصلي مثلها.

فسمعته يقول في سجوده:

اللهم إنك تعلم فوق عرشك أنَّ الذل أحب إليَّ من الشرف.

اللهم إنك تعلم فوق عرشك أنَّ الفقر أحب إليَّ من الغنى.

اللهم إنك تعلم فوق عرشك أنِّي لا أوثر على حبك شيئًا.

يقول عباسى بن دهقان:

فلما سمعته أخذني الشهيق والبكاء.

فلما سمعني قال:

اللهم إنك تعلم أنِّي لو أعلم أنَّ هذا هاهنا لم أتكلَّم.

بين السكوت والكلام:

قال الفتح بن شحرف:

كنت جالسًا عند بشر بن الحارث إذ جاءه رجل فسأله عن مسألة، فلطرق أبو نصر مليًا ثم رفع رأسه ثم أطرق ثم رفع رأسه، وقال:

اللهم إنَّك تعلم أنِّي أخاف أن أتكلَّم.

اللهم إنَّك تعلم أنِّي أخاف أن أسكت.

اللهم إنَّك تعلم أنِّي أخاف أن تأخذني فيما بين السكوت والكلام.

سؤالها لا يحتمل التأويل:

يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل:

جاءت **مخة أخت بشر الحافي** إلى أبي فقالت:

- يا أبا عبد الله: رأس مالى دانقان أشتري بهما قطنًا فأغزله وأبيعه بنصف درهم - الدانق: بفتح النون وكسرها: سدس الدرهم، أي: **الدرهم ستة دوانق** - فلنفق دانقًا من الجمعة إلى الجمعة، وقد مرَّ الطائف ليلة ومعه مشعل فاغتنمت ضوء المشعل وغزلت طاقتين في ضوئه، فعلمت أن الله سبحانه وتعالى فِيَّ مطالبه، فخ لصني من هذا

خلصك الله تعالى.

فقال أبي:

- تخرجين الدانقين ثم لا تبقين بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيرًا منه.

يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل:

فقلت لأبي: لو قلت لها حتى تخرج رأس مالها؟

قال أحمد بن حنبل:

- يا بنى: سؤالها لا يحتمل التأويل فمن هذه المرأة؟

يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل:

فقلت:

- هي مخة أخت بشر الحافي.

فقال أبي:

- من هاهنا أتيت.

طاب المسير إلى الله عز وجل:

قال عليّ الجرجرائي - نسبة إلى جرجرايا بلد بين واسط وبغداد من الجانب الشرقى وهو من أستاذي بشر الحافي -:

لقينى بشر بن الحارث بجبل لبنان على عين ماء فلما أبصرني قال:

- بذنب من لقيت اليوم إنسيًا.

فعدوت خلفه وقلت له:

- أوصني.

فالتفت إليَّ وقال:

- أمستوص أنت؟ عانق الفقر، وعا شر الصبر، وعاد الهوى، وعاف - اتر ك - الشهوات، واجعل بيتك أحلى من لحدك يوم تنقل إليه، على هذا طاب المسير إلى الله عز وجل.

من لي سواك:

رأيت رجلاً على جبال عرفة وقد ولع به الوله وهو يقول:

سبحان من سجدنا بالعيون له ... على شرها الشوك والمحمى من الإبر
لم نبلغ العشر من معشار نعمته ... ولا العشير ولا عشرا من العشر
هو الرفيع فلا ا لأبصار تدركه ... سبحانه من مليك نافذ القدر
سبحان من هو أنسى إذ خلوت به ... في جوف ليلى وفي الظلماء والسحر
أنت الحبيب وأنت الحب يا أملي ... من لي سواك ومن أرجوه يا ذخري

ثم أنشد أيضا:

كم قد زللت فلم أذكرك في زليلي ... وأنت يا سيدي في الغيب تذكرني
كم أكشف الستر جهلاً عن معصيتي ... وأنت تلطف بي حقًا وتسترني
لأبيكن بدمع العين من أسف ... لأبكينَّ بكاء الوله الحزن

ثم غاص الرجل في خلال الناس فلم أره فسالت عنه:

- من هذا الرجل؟

فقيل لي:

- هذا أبو عبيدة الخواص، منذ سبعين سنة لم يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله عز وجل.

احذر سوء الظن:

كتب بشر الحافي إلى علي بن خشرم يقول:

السلام عليك.

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد:

فإني أسال الله أن يتم ما بنا وبكم من نعمة، وأن يرزقنا و إياكم الشكر على إحسانه، وأن يميتنا ويحيينا وإياكم على الإسلام، وأن يسلم لنا ولكم خلفًا من تلف، وعوضًا عن كل رزية.

أوصيك بتقوى الله يا على ولزوم أمره، والتمسك بكتابه، ثم اتباع آثار القوم الذين سبقونا با لإيمان وسهلوا لنا السبل، فاجعلهم نصب عينيك، وأكثر عرض حالاتهم عليك تأنس بهم في الخلاء، ويغنون عن م شاهدة الملأ، فمثِّل حالهم كانك تشاهدهم، **فمجالسة أصحاب النبي ﷺ أوفق من مجالسة الموتى**، ومن يرقب منك زلتك وسقطتك إن قدر عليها، فإن يقدر عليها جعل جليسًا إن رآه عندك عيبك فرماك بما لم يره الله منك.

واعلم علمك الله الخير وجعلك من أهله، إن أكثر عمرك فيما أرى قد انقضى، ومن يرضى حاله قد مضى، وأنت لاحق بهم، وأنت مطلوب ولا نعجز طالبك، وأنت أسير في يديه وكل الخلق في كبريائه صغير، وكلهم إليه فقير، فلا يشغلك كثرة من يحبك، **وتضرع إليه تضرع ذليل إلى عزيز، وفقير إلى غني**، وأسير لا يجد ملجأ ولا مفرًا يفر إلا إليه، وخائف مما قدمت يداه، غير واثق على ما يقدم لا يقطع الرجاء، ولا يدع الدعاء، ولا يأمن من الفتن والبلاء، فلعله إن رآك كذلك عطف عليك بفضله، وأمدك بمعونته، وبلغ بك ما تأمله من عفوه ورحمته.

فافزع إليه في نوائبك، واستعنه على ما ضعفت عنه قوتك، فإنك إذا فعلت ذلك قرَّ بك بخضوعك له، ووجدته أسرع إليك من أبويك وأقرب إليك من نفسك.

وبالله التوفيق.

وإياه أسال خير المواهب لنا ولك.

واعلم يا عل ي أنه من ابتلى بالشهرة ومعرفه الناس، فمصيبته جليلة، فجبرها الله لنا ولك بالخضوع والاستكانة والذل لعظمته، وكفانا وإياك فتنتها وشر عاقبتها، فإنه تولى ذلك من أولياؤ ومن أراد توفيقه.

وارجع إلى أقرب ا لأمرين بك، إلى إرضاء ربك، ولا ترجعن بقلبك إلى محمدة أهل زمانك ولا ذمهم، فإن من كان يتق ي ذلك منه قد مات، وإنارة إحياء القلوب من صالح أهل زمانك، وإنَّما أنت في محل موتى ومقابر أحياء م اتوا عن الآخرة، ودرست عن طرقها آثارهم، هؤلاء أهل زمانك فتوار مما لا يستضاء فيها بنور الله، ولا يستعمل فيها كتابه إلا من عصم الله، ولا تبال من تركك منهم، ولا ت أس على فقدهم.

واعلم، أن حظك في بُعدهم أوفر من حظهم في قربهم، **وحسبك الله فاتخذه أنيسًا ففيه الخلف منهم** ، فاحذر أهل زمانك، وما العيش مع من يظن به من في زمانك الخير ولا مع من يسيء به الظن خير، وما ينبغي أن يكون طلعة أبغض إلى عاقل تهمه نفسه من طلعة إنسان في زمانك؛ لأن منه على شرف فتنة إن جالسته، ولا تأمن البلاء إن جانبته، وللموت في العزلة خير من الحياة وإن ظن رجل أن ينجو من الشر بأمن خوف فترة، فلا نجاة له إن أمكنتهم من نفسك آثموك، وإن جانبهم أشركوك، فاختر لنفسك واكره لها ملابستهم، وأرى أن الفضل اليوم ما هو إلا في العزلة؛ لأن السلام ة فيها، وكفى بالسلام ة فضلاً،

واجعل أذنك عما يؤثمك صماء، وعينك عنه عمياء، واحذر سوء الظن فقد حذرك الله تعالى ذلك، وذلك قوله تعالى: {إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ} [سورة الحجرات الآية: ١٢].

والسلام.

محال أن تكون هذه المرأه إلا أخت بشر الحافي:

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل:

دخلت امرأة على أبى فقالت:

- يا أبا عبد الله إني امرأة أغزل في الليل على ضوء السراج، وربما انطفأالسراج فأغزل على ضوء القمر، فهل عليَّ أن أبين غزل السراج من غزل القمر؟

قال أبي:

- إن كان عندك بينهما فرق - من حيث الجودة - فعليك أن تبينى ذلك.

فقالت له:

- يا أبا عبد الله: أنين المريض هل هو شكوى؟

فقال أحمد بن حنبل:

- إني أرجو أن لا يكون شكوى، ولكن هو اشتكاء إلى الله تعالى.

ثم انصرفت.

يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل:

فقال لي أبي:

- يا بنى: ما سمعت إنسانًا قط يسأل عن مثل ما سألت هذه المرأة اتبعها.

يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل:

فتبعتها.. إلى أن دخلت دار بشر الحافي، فعرفت أنها أخت بشر بن الحارث فأتيت فقلت له:

- إن المرأة أخت بشر الحافي.

فقال أحمد بن حنبل:

- هذا والله هو الصحيح، **محال أن تكون هذه المرأة إلا أخت بشر الحافي.**

دعائك أبلغ له:

قال إبراهيم الحربي:

حملنى أبي إلى بشر بن الحارث فقال له:

- يا أبا نصر، ابنى هذا مشتهر بكتابة الحديث والعلم.

فقال بشر الحافي لإبراهيم الحربي:

- يا بني: هذا العلم ينبغي أن يعمل به، فإن لم يعمل به كله فمن مائتين خمسة مثل زكاة الدراهم؟

فقال أبي:

- يا أبا نصر: تدعو له؟

فقال بشر بن الحارث:

- دعاؤك أبلغ، دعاء الوالد لولده كدعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته.

يقول إبراهيم الحربي:

- فاستحليت كلامه، واستحسنته، فإذا أنا مارًا إلى صلاة الجمعة، فإذا بشر يصلي في قبة الشعر، فقمت وراءه أركع إلى أن يؤذن بالأذان.

فقام رجل رث الحال والهيئة فقال:

- يا قوم:

احذروا أن أكون صادقًا، وليس مع الاضطرار اختيار، ولا يسع السكوت عند العدم، ولا السؤال مع الوجود، ولا فاقة رحمكم الله.

يقول إبراهيم الحربي:

فرأيت بشر الحافي أعطاه **قطعة دانق** - الدانق: سدس درهم -.

يقول إبراهيم الحربي:

فقمت إليه فأعطيته درهمًا وقلت له:

- أعطني **القطعة**.

قال الرجل:

- لا أفعل.

قلت:

- هذان درهمان.

وكان معي عشرة دراهم صحاح.

قال الرجل:

- لا أفعل.

قلت:

- هذه عشرة دراهم.

فتساءل الرجل:

- يا هذا: وأي شيء رغبتك في دانق بتذل فيه عشرة صحاحًا؟

قلت:

- هذا رجل صالح.

قال الرجل:

- فلفا في معروف هذا أرغب ولست أستبدل بالنعم نقمًا، و إلى أن آكل هذه فرج عاجل أو منية - موتة - قاضية.

يقول إبراهيم الحربي:

- انظروا معروف من آخذ؟

وقلت:

- يا شيخ: دعوة.

فقال لي:

- أحيا الله قلبك ولا أماته ح تى يميت جسمك، وجعلك ممن يشري نفسه بكل شيء ولا يبيعها بشيء.

كما أفسدته فَخُذِيه:

تخرق إزار بشر بن الحارث فقالت له أخته زبدة ذات يوم:

- يا أخي: قد تخرق إ زارك وهذا البرد، فلو ج ئت بقطن حتى أغزل لك.

وكان القطن يجيء بالاستارين - الاستار: أربعة مثاقيل ونصف - فاشترت له قطنًا وغزلته ثم قالت:

- يا أخي: إن الغزل قد اجتمع أفلا تأخذ إزارك؟

فقال أبو نصر:

- هاتيه.

فأخرجته إليه، فوزنه، وجعل يحسب الأساتير، فلما رآها قد زادت فيه قال:

- كما أفسدته فخذيه.

الرجل الصالح:

استقبل بشر الحافي ر جلٌ في طريق الشام وعليه عباء ة عقدها مستوفرًا كأنه وحشي.

فقال له أبو نصر:

- رحمك الله من أين جئت؟

قال الرجل:

- جئت من عنده.

قال بشر الحافي:

- وإلى أين تذهب؟

قال الرجل:

- إليه.

قال بشر بن الحارث:

- ففيم النجاة رحمك الله؟

قال الرجل:

- في التقوى والمراقبة لمن أنت له مبتغ.

قال أبو نصر:

- أوصني.

قال الرجل:

- لا أراك تقبل.

قال بشر الحافي:

- أرجو أن أقبل إن شاء الله.

قال الرجل:

- فرّ منهم ولا تـأنس بهم، واستوح ش من الدنيا فإنها تعرضك للعطب.

ثم قال:

- من عرف الدنيا لم يطمئن إليها، ومن أبصر ضررها أعد لها دواءها، ومن عرف الآخرة ألح في طلبها، ومن توهمها انشغل إلى ما فيها فهان عليه العمل.

ثم قال:

- فكيف لو توهمت من يملكها ومن زخرفها ومن قال لها: كوني فكانت، وتزيَّني فتزيَّنت؟ والتشوق إلى مالكها أولى بقلوب المشتاقين، وأطيب لعيش المستأنسين.

ثم قال:

- قد أنسوا بربهم فالأمر فيما بينهم وبينه سليم، صافوه بالعقول، ودققوا له الفطن، فسقاهم من كأس حبه شربة فظلوا في عطشهم أرويا وفي ربهم عِطَاشًا.

ثم قال:

- يا هذا: أتفهم ما أقول، وإلا فلا تتبعني؟

قال بشر بن الحارث:

- بلى رحمك الله إنى أفهم جميع ما قلت.

قال الرجل:

- الحمد لله الذي فهمك.

يقول بشر بن الحارث:

فرأيت في وجهه السرور.

ثم قال الرجل:

خذ إليك - اسمع ما ألقيه على أذنك من القول، وخذ مني - نعم هم الذين لا يملون كاساته من تحفه، فالحكمة إلى قلوبهم سا ئغة - ماثلة -

متواصلة ؛ لأنهم ا لأكياس - المتصفون بالكياسة والفطنة - الذين لم تدنسهم المطامع ولم تقطعهم عن الله عز وجل القواطع، ليوث - أُسْدٌ - في تعززهم، أغنياء في توكلهم، أقوياء في تقلبهم، قد قطعتهم الخشية، **وولهتهم العزة، نعيمهم اليقين، وروحهم السكون**، ألين الحلق عريكة وأشد حياء، وأشرف مطلبًا، لا يركنون إلى الدنيا جزعًا، ولا يتطاولون ولا يتماوتون، فهم صفوة الله عز وجل من خلقه، وضنائن - الضنائن: الأضياء التي يضن بها لنفاستها، وضنائن الله: خواص خلقه - من خالص عباده.

ثم قال الرجل:

- إن القلوب الحيَّة من دون هذا لها مقنع، نفعنا الله وإياك بما علمنا وسلمنا وإياك بما علمنا.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فقال بشر الحافي:

- فطلبت منه المزيد من مواعظه.

فأبى عليَّ وقال:

- لست أنساك فلا تنسني.

ثم مضى وترك أبا نصر.

ثم لقى بشر بن الحارث عيسى بن يونس فحدثه بقصة ذلك الرجل، فقال عيسى بن يونس:

- لقد أنس بك ذلك الرجل الصالح، إنه رجل من خيار الناس يأوى إلى الجبل، وإنَّما يدخل المدينة كل جمعة لصلاة الجمعة ويبيع في ذلك اليوم حطبًا يكفيه إلى الجمعة ا لأخرى، وعجبًا كيف كلمك؟ لقد حفظت عنه كلامًا حسنًا.

شغلت النفوس بالقليل الفاني:

كان أبو نصر مارًا في جبال الشام على رجل يُقال له: الأقرع، فإذا بشاب قد نحل جسمه ورق جلده، وعليه ثوب من صوف، فسلم عليه فرّ على بشر بن الحارث السلام، فقال بشر الحافي في نفسه:

- أقول له عظني وأبلغ؟

ولكن أبا نصر قبل أن يكلمه أجاب ا لشاب عن سر بشر بن الحارث وقال:

- عظ نفسك بنفسك، وفك نفسك من حبسك، ولا تشتغل بموعظة غيرك من جنسك، واذكر الله في الخلوات يفك السيئات، وعليك بالجد والاجتهاد.

ثم بكى وجعل يقول:

- شغلت النفوس بالقليل الفاني ونحبت - نحب القوم في سيرهم: جدوا، ونحبه السير: أجهده - الأبدان بالتسويف والأماني.

ثم قال:

- يا بشر.

يقول بشر الحافي:

- وما رآني وما عرفني قبل ذلك.

ثم تنهد وقال:

- إن لله عبادًا خالطَ قلوبهم الحزن فأسهر ليلهم، وأظما نهارهم - أي: أقاموا الليل بالتهجد وصاموا نهارهم - وأبكى عيونهم، كما وصفهم ربهم في كتابه: {كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾} [سورة الذاريات الآيتان: ١٧ - ١٨].

يابشر ببركة ماءك أسلم الطبيب:

لما مرض بشر الحافي مرضه الذي مات فيه اجتمع إليه إخوانه وقالوا له:

- نريد أن نحمل ماءك - ما تبوله - إلى الطبيب.

فقال أبو نصر:

- أنا بعين الطبيب يفعل بي ما يريد.

قالوا:

- إن فلانًا النصراني طبيب جيد ولا بد أن نحمل إليه ماءك.

فقال بشر الحافي:

- دعوني فالطبيب أمرضني.

قالوا:

- لا بد من ذلك.

فقال أبو نصر لأخته:

- إذا كان في الغدِ ادفعي إليهم الماء.

فلما أصبحوا أتوها فدفعت إليهم الماء فمضوا به إلى الطبيب فنظر إليهم وقال:

- ضعوه.

فوضعوه ثم قال:

- حرّكُوه.

فحرَّكُوه.

حتى فعل ذلك ثلاثا فقال أحد القوم:

- ما هكذا أُخبرنا عنك.

فتساءل الطبيب:

- وما الذي أُخبرتم به عني؟

قال:

- أُخبرنا عنك بحسن النظر، وسرعه ا لإدراك، وجودة المعافاة، ونراك تردد النظر، وذلك يدل على قلة المعرفة.

فقال الطبيب:

- والله لقد علمت حاله من نظرة، ولكننى رددت النظر تعجبًا، وبعد فإن يكن هذا ماء نصراني فهو ماء راهب قد فتت ال خوف من الله كبده، وإن يكن ماء مسلم فهو ماء بشر الحافي وليس له عندي دواء فعللوه فإنه ميت.

فقالوا له:

- هو والله ماء بشر الحافي.

فلما سمع الطبيب ذلك، أخذ مقراضًا - م شرط - وقطع زناره - حزام كان يشده المجوسي والنصراني على وسطه - وقال:

- أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدً ا عبده ورسوله.

فأسرعوا نحو بشر الحافي ليبشروه.

ولكن أبا نصر عندما رجعوا إليه سألهم:

- أسلم الطبيب؟

قالوا في عجب:

- نعم فمن أخبرك؟

قال بشر الحافي:

- لما خرجتم من عندي أخذتنى سِنَةٌ وإذا بهاتف يقول: يا ب شر: **ببركة مائك أسلم الطبيب**.

ولم يلبث أبو نصر بعد ذلك إلا ساعة... ومات.

من أقوال بشر بن الحارث:

كان أبو نصر يقول:

* ما اتقى الله من أحب الشهرة.

* قد شهرني ربي في الدنيا، فليتهلا يفضحني في القيامة.

* ما أقبح بمثلى يظن في ظن وأنا على خلافه، وإنما ينبغي لي أن أكون أكثر ما يظن بي أنى أكره الموت وما يكره الموت إلا مريب، ولولا أني مريب لأي شيء أكره الموت؟

* غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه وإخفاء مكانه عنهم.

* اللهم استر واجعل تحت الستر ما تحت، فربما سترت على ما تكره.

* ونظر أبو نصر نحو أبا بكر محمد الفيلض، وقال له:

- يا أخي: بادر فإن ساعات النهار والليل تذهب الأعمار.

* وقال بشر بن الحارث يوم موت أخته زبدة:

- إن العبد إذا قصر في طاعه الله سلبه الله من يؤنسه.

* ما شبعت منذ خمسين سنة.

* إني لأشتهي شواء منذ أربعين سنة ما صفا لي درهمه.

* أني لأشتهي شواء ورقاقًا - الرقاق: ال خبز المنبسط الرقيق - منذ خمسين سنة ما صفا لي درهمه.

* طوبي لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره.

* حادثوا الآمال بقرب الآجال.

* دخل بشر الحافي يومًا المقبرة فقال:

- الموتى داخل السور كثر منهم خارج السور.

* ليس من المودة أن تحب ما يبغض حبيبك.

* بحسبك أن أقوامًا موتى تحيا القلوب بذكرهم، وأن أقوامًا أحياء تعمى الأبصار بالنظر إليهم.

* الصدقة أفضل من الحج والعمرة والجهاد.

ثم قال:

ذاك يركب ويرجع ويراه الناس، وهذا يعطى سرًا لا يراه إلا الله عز وجل.

* ما أقبح أن يُطلب العالم:

فيُقال:

- هو ببلبل الأمير.

* قال بشر الحافي يومًا:

قطع الليالي مع الأيام في خلق ... والنوم تحت رواق الهم والقلق
أحرى وأعذر لي من أن يُقال غ ... دا إني لمست الغنى من كف مختلق
قالوا: قنعت بذا، قلت: القنوع غنى ... ليس الغنى كثرة الأموال والْوَرِق
رضيت بالله في عسر ي وفي يسر ي ... فلست أسلك إلا أوضح الطرق

الْوَرِقْ: الْفِضَّةُ.

* من أراد أن يكون عزيزًا في الدنيا سليمًا في الآخرة، فلا يحد ولا يشهد ولا يؤم قومًا ولا يأكل لأحد طعامًا.

* إذا قلَّ عمل العبد ابتلى بالْهَمِّ.

* سكون النفس إلى المدح وقبل المدح لها أشد عليها من المعاصي.

* حب لقاء الناس حب الدنيا، وترك لقاء الناس ترك الدنيا.

* لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس.

* إذا كان لك صديق فلا تدل عليه الفقراء لا يكسرونه عليك.

* وقال بشر الحافي:

ذهب الرجال المرتجي لفعالهم :: والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم :: بعضًا ليدفع معور عن معور

* الصبر هو الصمت، والصمت من الصبر، ولا يكون المتكلم أورع من الصامت إلا عالم يتكلم في موضعه ويسكت في موضعه.

* انظر خبزك من أين هو ولا تعرض للنار.

* من هوان الدنيا على الله عز وجل أن جعل بيته وعرًا.

* أوثق عمل في نفسي حب أصحاب محمد ﷺ.

* **عز المؤمن استغناؤه عن الناس، وشرفه قيامه الليل.**

* من س أل الله تعالى الدنيا، فإنَّما يسأله طول الوقوف - يوم الحساب -.

* لا ينبغي أن يأمر بالمعرروف وينهى عن المنكر إلا من يصبر على الأذى.

* لا تعط شيئًا مخافة ملامة الناس.

* **اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك.**

* من أراد أن يلقن الحكمة فلا يعص الله.

* ما اتقى الله من أحب الشهرة.

* من عامل الله بالصدق استوحش من الناس.

* **ليس أحد يحب الدنيا إلا لم يحب الموت، وليس أحد يزهد في الدنيا إلا أحب الموت حتى يلقى مولاه.**

* لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى لِمَا عصوه.

* العجب أن تستكثر عملك وتستقلّ عمل الناس أو عمل غيرك.

* بقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين.

* **خصلتان تقسيان القلب: كثرة الكلام، وكثرة الأكل.**

* النظر إلى من يكره حس باطنة.

* النظر إلى الأحمق سخنة عين، والنظر إلى البخيل يقسي القلب، ومن لم يحتمل الغم والأذى لم يقدر أن يدخل فيما يحب.

* إذا ذكرت الموت ذهب عنك صفوة الدنيا وشهوتها، وذهبت عنك شهوة الجماع عند ذكر الموت.

* يكون الرجل مرائيًا في حياته مرائيًا بعد موته.

قيل:

- كيف يكون مرائيًا بعد موته؟

قال أبو نصر:

- يحب أن يكر الناس على جنازته.

* كان بشر الحافي إذا أراد الدخول إلى المقبرة قال:

- الموتى داخل السور أكثر منهم خارج السور.

* إذا أعجبك الكلام فاصمت وإذا أعجبك الصمت فتكلَّم وإذا هممت بغلاء السعر فاذكر الموت لأنه يذهب عنك هَمُّ الغلاء.

* لا تسأل عن مسائل تعرف بها عيوب الناس، لا تقع في ألسنة الناس، إذا سألت عن مسألة فاعملها فإن لم تطق فاستعن بالله.

* ما أعلم أحدًا من الناس إلا مبتلى، رجل بسط الله تعالى له في رزقه فينظر كيف شكره، ورجل قبض الله عز وجل عنه رزقه فينظر كيف صبره.

خلت الديار فسدت غير مسود ... ومن الشقاء تفردي بالسؤدد

* ولو أن رجلاً أنفق مثل جبل أحد - جبل أحد بالمدينة - في طاعة الله عز وجل لم يكن من المسرفين.

* تعلمت الزهد من أختي - مخة - فإنها كانت تجتهد أن لا تأكل ما لمخلوق فيه صنع.

* قيل لبشر بن الحارث:

- بأي شيء تأكل الخبز؟

قال أبو نصر:

- أذكر العافية فأجعلها إدَامًا.

* وقال بشر لأصحاب الحديث:

- أدوا زكاة هذا الحديث.

قالوا:

- وما زكاته؟

قال أبو نصر:

- اعملوا من كل مائتي حديث بخمسة أحاديث.

* من طلب الدنيا فليتهيأ للذل.

* عقوبة العالم في الدنيا أن يعمى بصر قلبه.

* ومن دعاء بشر الحافي:

اللهم إن كنت شهرتني في الدنيا لتفضحني في الآخرة فاسلبه عني.

* **بشر بن الحارث وأحاديث رسول الله ﷺ :**

سمع بشر بن الحارث من: وكيع، وعيسى بن يونس، وشريك بن عبد الله، وأبي معاوية، وأبى بكر بن عياش، وحفص بن غياث، وإسماعيل بن عليّة، وحماد بن زيد، ومالك بن أنس، وأبي يوسف القاضي، وابن المبارك، وهُشيم، والمعافي بن عمران، والفضيل بن عياض، وأبي نعيم.

غير أنه لم يتصد للرواية فلم يضبط عنه من الحديث إلا اليسير وكان يقول:

أدوا زكاة الحديث فاستعملوا من كل مائتي حديث خمسة أحاديث.

وقال أهل الحديث لأبي نصر:

حَدِّثْنَا.

فلنشدهم:

وليس من يروق لي دينه ... إن شين الحديث أهل الحديث

يقول الحسن بن صعيد:

كنا يومًا عند بشر بن الحارث، فجاء رجل من خراسان، فبرك بين يدي أبي نصر، وقال:

- يا أبا نصر: أنا وفد خراسان، حدِّثني بخمسة أحاديث أذكرك بها بخراسان.

فلم يزل يتذلل له، وبشر يقول له:

- المحدثون لكثير.

فلم يزل يداريه ويجتهد به.

فلما رأى أنه لا ينفعه شيء قال له:

- يا أبا نصر: أليس تروى عن عيسى - عليه السلام - أنه قال: من علم وعمل وعلم فذلك الذي يُدَّعي عظيمًا في ملكوت السماء؟!

فقال بشر بن الحارث:

- كيف قلت؟ أعد عليَّ.

فأعاد الخراساني عليه القول:

علم وعمل وعلم فذلك الذي يُدَّعي عظيمًا في ملكوت السماء.

قال له أبو نصر:

- صدقت قد علمنا حتى نعمل ثم نعلم.

ومن الأحاديث التي أسندت لأبي نصر: - فقد أسند عن أعلام رواة مع كراهيته للرواية ورغبته عنها -:

* قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن محمد بن على الصوري عن أبي نعيم قال:

جاءني بشر بن الحارث فقال:

حدَّثني بحديث النبي ﷺ: **«إن الله تعالى عند لسان كل قائل»**.

فقلت:

حدثنا عمرو بن ذر عن أبيه قال:

قال رسول الله ﷺ:

«إن الله عند لسان كل قائل، فليتق الله عبد ولينظر ما يقول» (رواه أبو نعيم في الحلية، عن ابن عمره والحكيم، عن ابن عباس).

* حدثنا عبد الله بن جعفر، عن يونس بن حبيب، عن أبي داود،

عن حماد بن زيد، عن وهيب بن خالد، عن خيثم، عن عراك بن مالك، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال:

قال رسول الله ﷺ :

♂**ليس في فرس المؤمن ولا في علامة صدقه**ـــ (رواه أبو نعيم في الحلية).

* وقال عيسى بن يونس عن هسام بن عروة بن الزبير عن أخيه عبد الله بن عروة ابن الزبير عن عائشة قالت:

قال رسول الله ﷺ :

♂**كنت لك أبي زرع لأم زرع**ـــ.

ثم أنشأ يحدث حديث أم رزع فقال:

♂**اجتمع إحدى عشرة نسوة...**ـــ، فذكر الحديث.

قال محمد بن المثنى لبشر بن الحارث:

يا أبا نصر: حديث أم زرع.

فقال بشر بن الحارث:

حدَّثني به عيسى بن يونس.

* قال محمد بن هارون بن عيسى الهاشمي عن أبي حفص ابن أخت بشر بن الحارث قال:

كنت عند خالي فأخرج دفترًا من قراطيس فقرأ منه فقال:

حدثنا عيسى بن يونس ثنا أشعث بن عبد الملك بن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ :

♂**إذا قعد بين شعبيها الأربع واجتهد فقد وجب ال غسل**ـــ (رواه أبو نعيم قى الحلية).

* رحل بشر بن الحارث إلى عيسى بن يونس ماشيًا على قدميه، فأكرمه ثم قال:

- معك شيء تسأل عنه؟

قال أبو نصر:

- نعم حديث الحسن عن عائشة.

قال عيسى بن يونس:

- نعم حدّثنا عمرر بن عبيد المحدث المذموم عن الحسن عن عائشة أنها قالت:

- يا رسول الله هل على النساء قتال؟

قال عليه الصلاه والشلام:

♂**نعم، جهاد لا قتال فيه، والحج والعمرة** ـــ (رواه أبو نعيم في الحلية).

* وقال أبو الطيب محمد بن القاسم بن جعفر الكوكب ي عن إسحاق بن بشر المقدسي عن بشر بن الحارث، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال:

قال رسول الله ﷺ :

♂**ثلاث لا يفطرن الصائم: الحجام ة، والاحتلام، والق يء**ـــ. (أخرجه الترمذي، كتاب الصوم باب: ما جاء في الصائم يذرعه القيء عن أبي هريرة وأبو نعيم في الحلية).

* وقال المعافى بن محمران عن سفيان الثوري عن الأعمش عن إبراهيم التيمى عن أبيه عن أبي ذر الغفاري قال:

قال رسول الله ﷺ :

♂**إذا طبخت قدرً ا فأكثر المرق وا غ رف لجيرانك** ـــ (رواه أبو

نعيم في الحلية، عن أبي ذر).

* وقال إبراهيم بن هاشم عن بشر بن الحارث عن عبد الله بن داود عن منخل بن حكيم، عن ابن عون عن ابن سيرين عن أبي هريرة، قال:

قال رسول الله ﷺ :

♂**سُباب المسلم فسوق، وقتاله كُ فْرٌ** (رواه أبو نعيم في الحلية).

قالوا عن بشر بن الحارث الحافي:

* قال محمد بن قدامة:

لقى بشر بن الحارث رجلٌ سكران، فجعل الرجل يقبل أبا نصر ويقول:

- يا سيدى: يا أبا نصر.

ولا يدفعه بشر عن نفسه، فلما ولى الرجل السكران تغر غرت عينا بشر وقال:

- رجل أحب رجلاً على خير توهمه، لعل المحب قد نجا والمحبوب لا يدرى ما حاله.

* وقال عمر بن موسى:

رأيت بشر بن الحارث وقف على أصحاب الفاكهة فجعل ينظر فقلت:

- يا أبا نصر: لعلك تشتهي من هذا شيئًا؟

قال بشر بن الحارث:

- لا، ولكن نظرت في هذا: إذا كان يطعم من يعصيه فكيف من يطيعه؟

* قال أبو بكر المروزي:

قدم بشر الحافي ليلاً من سفر وهو مئزر بحصير.

* قال يحيى بن عثمان:

- كان لبشر بن الحارث في كل يوم رغيف.

* سُئِلَ أحمد بن حنبل عن مسألة في الورع، فقال:

أنا؟ أستغفر الله، لا يحل أن أتكلم في مس ألة الورع، أنا آكل من غلة بغداد، لو كان بشر بن الحارث صلح أن يجيبك عنه، فإنه كان لا يأكل من غلة بغداد ولا من طعام السواد، يصلح أن يتكلم في الورع.

* قال عمرو - عمر - بن موسى بن فيووز:

رأيت بشر بن الحارث ومعه رجل فتق دَّم إلى بئر ليشرب منها فجذبه بشر وقال:

- بشرب من البئر الأخرى.

حتى جاور ثلاث آبار فقال الرجل:

- أبا نصر: أنا عطشان.

فقال له بشر الحافي:

- اسكت فهكذا ندفع الدنيا.

* قال أبو العباس السلمي:

رأيت قدمي بشر - أي: أسفل قدميه - قد اسودا من أثر التراب مما كان يمشي حافيًا.

* قال عمار:

رأيت الخضر عليه السلام فسألته عن بشر بن الحارث فقال:

مات يوم مات وما ظهر على ظهر الأرض أتقى لله منه.

وفاة بشر بن الحارث:

توفى بشر بن الحارث الحافي عشيه الأربعاء لعشر بقين من ربيع الأول.

وقيل:

لعشر خلون من المحرم سنة سبع وعشرين ومائتين.

وقد بلغ من العمر خمسًا وسبعين سنة.

وقيل:

سبعًا وسبعين.

يقول يحيى بن عبد الحميد:

رأيت أبا نصر التمار - بائع التمر - وعليَّ بن المديني في جنارة بشر بن الحارث يصيحان:

- هذا والله شرف الدنيا قبل شرف الآخرة.

وذلك أن بشرًا خرجت جنارته بعد صلا ة الصبح، فلم يجعل في قبره إلا في الليل.

وكان نهارًا صائفًا، ولم يستقر في القبر إلى العتمة.

* ويقول ابن خزيمة:

لما مات أحمد بن حنبل بت ليلتي فرأيته في المنام فقلت له:

- ما فعل الله بك؟

قال أحمد بن حنبل:

- غفر لي وتوجني وألبسني نعلين من ذهب وقال: يا أحمد: هذا بقولك القرآن كلامي قلت:

- فما فعل بشر؟

قال أحمد بن حنبل:

- بخ بخ من مثل بشر؟ تركته بين يدي الجليل وبين يديه مائدة من الطعام والجليل مقبل عليه وهو يقود له: كل يا من لم يكل، واشرب يا من لم يشرب، وانعم يا من لم ينعم.

وقال الكندي:

رأيت بشر بن الحارث في النوم فقلت له:

- ما فعل الله بك؟

قال بشر بن الحارث:

- غفر لي وأقعدني على طيار - من لؤلؤ بيضاء وقال لي: سر في ملكي.

رحم الله بشر بن الحارث الذي حياه الحق بجزيل الفو اتح وحماه عن وبيل القوادح بشر الحافي بكفاية الكافي اكتفى فاشتفى.

* * *